عـرسُ الســماءِ

مجموعة قصصية

وفاء المنصوري



دار ديوان العرب للنشر و التوزيع – مصر - بورسعيد



اسم العمل : عرسُ السماءِ

اسم المؤلف : وفاء المنصوري

الجنسية : مصر

التصنيف الأدبي : مجموعة قصصية

الترقيم الدولي : 978 - 977 – 6707 - 24 – 5

رقم الإيداع : 8756 / 2019

تدقيق لغوي : نجاح العالم السرطاوي

تصميم الغلاف : محمد وجيه

المدير العام : محمد وجيه

تليفون : 00201211132879





الإهداءُ

إلى .....

أحبتى ... أخوتى ... أصدقائى ... أبنائي

إلى أحفادي (أدهم وكارما)

أكتب صفحاتٍ من واقع حياتى وحياة الآخرين،

لعلها تكون عظة وناقوسًا يتردد صداه

" وبشّرِ الصابرين"

وفاء المنصوري

*****

إرهابٌ و عذابٌ

نشـرت الشمس نورها ليضيء على جبال سيناء، بعد احتجاب، دفئًا ربيعيًا اتسعت العيون حَذراً ترقُب الطريق المُتعرج في وادٍ ذي زرع.

أمام أسامة الشاب الأسمر وهو في الثلاثين من عمره، عيناه الواسعتان تَبُرق بالأمـل ، مفتول الذراعين، بـهي الطلعة، يحبه الجميع، يعمل مهندسًا بالصحراء، رماه القدر في دائرة الخطر، يَشم رائحة الموت ... والإرهابيون في كهوف الغدر ... بمنطقة نائية بسيناء جعلوا الحياة مفخخة؛ يزرعون الموت في كل خطوة للبشر .

بعد سقوط المطر ... سَلمت التلال نفسها لليل ... الجو أكثر دفئًا..الحصـى على الهضاب يلمع كالذهب

والفيروز الطبيعة الخلابة تفوح بعبيرها، مزيج من
النسمات الشتوية، مع رائحة البحر..أزهار برية ...
واحات صغيرة متناثرة، تَعانُق الحياة مع الموتِ
لم تتوقف أصوات الانفجارات هنا وهناك، وأخبار
استشهاد الجنود في عُمر الزهور وقلق الكمائن ...
والطلعات الجوية ... تَقصفُ هنا وهناك ... ما بين
التِلال ، و أوكار الإرهاب.
انتهز المهندس أسامة فُرصة الهدوء النسبي .. الذي
يسبق العاصفة وخرج ليتأمل الطبيعة، ويرسم ...
وجه فتاة أحلامه .. في الواحة الخضـراء بين الجبال
والسفوح، البئر الوحيد الذي تلتف حوله خيام
للبدو صغيرة وأمامها عدد كبير من الأغنام
في اليوم التالى ... دعاه أحد شيوخ القبيلة ليتعرف
عليه، ويقدم له واجب الضيافة، وفي نفس الوقت

يحذره بعدم التدخل في شئونهم وهو يتوقع ذلك قبل ذهابه، وعرفـوا أنه مهندس في الجيولوجيا وأقاموا له وليمة شواء على أنغام الناي والرقص البدوي

وفي طريق العودة لعربته المُتنقلة تحت الجبل ...

حدث اشتباك بين عناصر إرهابية وبين جنودنـا ثم ازداد القصف، صوت الانفجارات يصم الآذان وينشـر الرعب في القلوب ... قفز إلى ساتر بين التلال في سرعة البرق ليختبئ، وأثناء الانفجارات تسلل إلى سمعه صوت نسائي يستغيث

ـ عنزتي لا تموتي يا عنزتي ..

رفع رأسه بحذر ، نظر بطرف عينه ...فوجد فتاة سيناوية ترتدي خيمة سوداء تجري ...وراء عنزتها... لتنقذها . فأسرع، وانقض عليها، ليخفض رأسها...

فتعرقل في جلبابها ووقع فوقها ... وشعوره بالخوف من الموت أفقده إحساسه بالمرأة الجميلة التي ألقاها القدر بين أحضانه، وما كان من الفتاة البسيطة ... التي تخاف على صديقتها... العنزة أكثر من نفسها إلا أن تَسُبه وتَضْربَهُ ...وهيَّ ثائرة " وتَلعن اليوم الذي جاء فيه إلى رباعهم وهو ينظر إليها ولا يصدق نفسه وطاش عقله عندما وقع البُرقع عن وجهها الصبوح الذي يشبه الخوخة الناضجة وحين سكت صوت الانفجارات والرصاص، ليعلو صوت القلب، تعلقت عيناهما ...وساد صمتٌ جميلٌ... و حديث الروح ولغة الشوق ... فأردف يقول :-

- كنتِ هتموتي نفسك يا مجنونة عشان معزة.

- أصلها من يوم ماتولدت وهى مافرقتني...

المعزة جميلة زي صاحبتها

فقالت بصوت حنون خجلاً:

أنا بعتذر لحضرتك على طول لساني .

فنظر لها وهو لا يزال ممسكًا بذراعيها خوفاً عليها و تعلقاً بها، و لم تنبس شفتاه ببنت كلمة ...وهو شارد في عينيها..العسليتين ...وشعرها الأسود الفاحم الطويل المُجدول ووجهها الخمري ...المُكلل بالحُمرة والوشم المخطط على ذقنها وأنفها المُزين بقرط ذهبي ...وتلك الغوايش الملونة بيديها، ولما أطال النظر وشعرت بأنها سوف تضعف أمامه وعلى وشك أن ترتمي في أحضانه، إلا أنها خافت ونزعت نفسها، وتمالكت جأشها أما هو فقد ربت على كتفها وأردف قائلاً :- متخفيش ...أنا ابن بلد وعندي أخوات بنات وأخاف عليكِ

ابتسمت ابتسامة ساحرة بلهاء ، ثم تغطت بطرحتها وأسدلت ستائر الليل على وجهها ومضت .

قبل الغروب بقليل.. ينتهي من عمله ... يصنع كوبًا من الشاى.. يجلس يتأمل هبوط الشمس ، ومنظر الغروب الساحر بالصحراء ويرى قوم حبيبته المجنونة التى نســي أن يسألها عن اسمها أو عن قبيلتها ويحاول تمييزها من بين النساء بعنزتها المُصاحبة لها ..لكن دون جدوى كلهم بالزي البدوي مُتشابهات، صورتها لم تبرح خياله ... وشعور غريب تخلل إلى قلبه مع رائحة العنبر الذكية التى لازالت عالقة بأنفه وبوجدانه، تمنى أن يراها مرة ثانية وثالثة، وارتسمت أمامه عيناها اللتان تنفجر منهما ينابيع ومياه وربوع خضــراء، تمرح فيها ظباء وردية.

وفي صباح يوم آخر ..صحا على صوت طائرة وأصوات انفجارات ... خرج بعدما سكتت أصوات الاشتباك...ليطمئن على فتاته ...فلم يجد إلا حُفرة عميقة وحولها أجساد مُمَزقة وأشلاء ... ولمح الغـوايش الملونـة والعنزة في حفرة واحدة تشبه القبر... فقد قام الإرهابيون فجرًا بقتلهم لمساعدتهم للجيش ... فأصابـه الهلع والحزن عليهم وظل يبكي وهو يلعن الإرهاب .

****

الأرضُ تدافعُ عن أصحابِها

وصلتُ إلى العيادةِ في الثامنة مساءً ، وجلستُ في الإستراحة ولاحظتُ ثمة حركة مريبة للمرضات، وفي عيونهن نظرات الفزع والارتباك،حاولت أن أُحدث إحداهن لمقابلة الطبيب، الذى استأجر مِني شقتي ، اعتذرت المُمَرضة، ودخلت إلى غرفة العمليات، والغريب أن رائحة البنج تنتشـر في الأرجاء رغم أن العيادة لطبيب أسنان ، شعرت بالريبة لكن واستني الذكريات.

تذكرت أبي وطفولتي في هذا المنزل الذي استأجره الطبيب وحوله إلى عيادة نهضت من مقعدي عندما خرج الطبيب، وهو يُجفف عَرقه، ويلتقط أنفاسه رافعًا الكمامة من على فمه، وبقايا الدماء على

ملابسه، حاولت أن أحدثه ، لكنه لم يلتفت إليّ
وانصرف مسرعًا إلى حُجرةٍ مجاورة
دخلتُ إلى الشـُرفة لأتحدث إلى زوجي لأخبره
بمخاوفي وقبل أن أنهي المكالمة ، سَمعت إحدى
المُمَرضات تتحدث بصوت صارخ إلى زميل لها
قائلة: " هنروح في داهية الواد هيموت ، نزف كثيرًا،
بعدما أخذنا كليته"
خَرجت مني صرخة قبيل أن يقع مني الموبايل،
تنبهوا إليّ ثم هجموا عليَّ كالوحـوش ليكبلوني، بل
ليقتلوني ظللتُ أرجوهم بل أتوسل إليهم أن لديّ
أطفالًا ينتظرونني ... وأن يتركوني ... ولن أفشـي
سرهم تراقصت أمامي صور أمي وأبي رحمهما الله،
وهما ينتزعانني منهم وصور أولادي وهم يبكون
لأجلي، سمعت الأصوات حولي متداخلة وكأنها

طنين، لم أفســر كلمة واحدة ولم أشعر إلا بلاصق
على فمي ووخز إبرة بِنج دُست في يدي، الوجوه أمامي
كالذئاب الجائعة ، الجُملة الوحيدة التي سمعتها قبيل
إعطائي الحقنة قول الطبيب " اخلصوا منها بسرعة "
أيقنت وقتها أنني أعطيتُ شقتي لسفاح والآن
سألقى حتفي على يده.
أحضرت المُمَرضة العملاقة حقنة أخرى أرى
خيالها على ما يبدو أن بها المادة القاتلة وقبيل أن
تدخلها في ذراعي، إذا بالباب يندفع وجدت بعض
الرجال وسمعت أصواتًا كثيرة، وتراقصت صور
رجال الأمن ووجوه طويلة وعريضة لا أدري من
هؤلاء أبشر أم ملائكة أم شياطين وشَعرتُ بأبي
المتوفى يَمسحُ على جَبيِني قائلًا:- " الأرض تدافع عن
أصحابها يا ابنتي"

الأقـنعـةُ

عندما تسقط الأقنعة ؛ تظهر الحقيقة عارية
كانَ شابًا وسيمًا مركزه مرموق ... تتمناه أي أُسرة،
إنه فارس أحلام الفتيات، أما هي جميلة مثل
فينوس ... سَحَرَها بِحُبه وهو المتيم بجمالها طلب
يدها وهو يذوب في حبها ... عشقته بكل
مشاعرها، وهي البريئة التي لم تمر بأية تجربة
عاطفية ، أسكرتها عباراته الحالمـة، وهو يكتب لها
شعرًا رومانسيًا بمجرد أن يلمس يدها؛ تحمر
وجنتاها، وتصبح شفتاها كالفراولتين، تتسع عيناها
بالحلم الوردي الذي يراودها في العش الجميل .
وبعد أيام معدودة من الزواج، سقط أول قناع،
وظهر بُخله معها وحرمها من تناول الطعام معه

واختياره الأماكن العامة التي لم تشعر فيها بالخصوصية، في حين أنه يصرف ببذخ على سهراته الخاصة ، وحفلات الشواء فى الصحراء ورحلات الصيد، فكانت تتوقع أن تشاركه نفس المستوى وبعد شهور من الزواج ؛حبسها في المنزل ، ولم يهتم بها ولم يشترِ لها حتى الأدوية وأصبحت بالنسبة له جارية و سيدة فِراش، واختفت من قاموسه كلمات الحب أو حتى الاحترام ، فكان يضاجعها رغمًا عنها، واكتشفت أيضاً أنه يشرب الخمر ، وهي ابنة الشيخ الجليل.

تحملته،وصبرت... فهي تحبه وتلتمس له الأعذار، أحيانًـا تشعر أنه ابنها بعد مرور سنوات عجاف من الانسحاق أصبحت أمًا، ونزلت لسوق العمل حتى تعوض حرمانها وتنفق على نفسها وصغيرتها،

في حين أن الناس يحسدونها على مركزه المرموق
وراتبه الكبير الذي لم تنل منه حد الكفاف
ولما فاض الكيل وخضعت ابنته للحصار... ونالت
قسطها من الرعب الأبوي ، لجأت إلى أهلها لتطلب
الطلاق والحرية ، لكنهم قالوا :-
"معندناش بنات تسيب بيتها"
استمر مسلسل العذاب المُر وتحول الزوج العاشق
إلى حيوان لا تهمه إلا رغباته دون مراعاتها ، أما هي
فخســرت آخر خندق كانت تحتمي به (أهلها) ...
شعرت بعد أن ترك فراشها وهجرها أنه على علاقة
بأخرى ... وهنا جمعت كل شجاعتها وطلبت منه
الطلاق ، تحول وقتها إلى وحش وانهال عليها
بالضرب أمام ابنتها المُرتعبة كانت تبحث عن
الخلاص وهيَّ تقترب من البحر، أرادت أن تتخلص

من هذا الكابوس وقبل أن تغطي المياه رأسها ... دوّت في أذنيها صرخة ابنتها فخرجت فزعة من المياه وحملتها في حضنها، وقررت أن تعيش ... تعيش لابنتها فقطْ و أن تنتزع حريتها بيدها.

****

الجنُّ و الشيخُ

كَثيرًا مَا كان يُسافر زَوجي لعملهِ ويتركني مع الأطفال وأظلُ في وحدتي وعندما يدخل الليل، تتناهى إلى سمعي أصوات غريبة وكنت أظنها تأتي من منزل الجيران خاصة وأنا أسمع أصواتهم وأحاديثهم في النزاع المستمر الذي ينتهي " بعلقة ساخنة" ... أو بمناجاة وهدهدة ناعمة تنتهى بوقوع ألواح السرير كأنها سوف تسقط على رأسي، استمرت تلك الأصوات ، وأنا أظُنها تهيؤات ، وأقنع نفسي أنها أصوات الجيران ، وأضحك على سذاجتي ولا آخُذها مأخذ الجد، فأنـا صاحبة قلب جريء وقوي، ولا أخشــى الوحدة ولا تهزني التهيؤات، كنت أنام في الظلام، فغيرت عادتي من أجل الصغار

ونشــرت الضوء في أرجاء المنزل، وأقرأ الأذكار في أوقاتها، وأترك المذياع على إذاعة القرآن الكريم، كما كانت تفعل أمي معنا، وظل زوجــي يوصيني بتلك الطقوس .

إلاً هذه الليلة، التي نِمتُ فيها مُتحررة من معظم مَلابســي، وقبيل بزوغ الفجر شعرت بحرارة شديدة تملأ المكان، تصحبها رائحة تشبه احتراق الخبز، والحرارة تقترب مني أكثر فأكثر حتى لفحت وجهي وظننت أنها الحمى، حاولت النهوض من مخدعي، لكنني شعرت بثقل يَجُسم على جسدي ويمنعني من الهروب، و فجأة تجسد أمامي ظل مبهم ...انتصب في وضوح، وظهرت بَعض مَلامحه التي تُشبه زوجي إلى حدٍ كبيرٍ، صَرخت مرتعبة ونَهضتُ وأنا أظن أنه كابوس ثقيل، واستعذت بالله مِن الشيطانِ الرجيم

وتكررت هذه الحالة بوضوح تام في ركن حجرتي
في النهار، ثم تجرأ ونهض متقدمًا نحوي كالوحش
فصرخت واستغثت بالجيران مَصعوقة بالصدمة
وحاولت أن أستجمع ذاكرتي المبعثرة وأقرأ
المعوذتين، فوجدته يكرر معي تلك الآيات بل
ويسبقني، فقمت بدفعه عَني وهو يقول :- أنا مُسلم
مثلك ولا يمكن أؤذيكِ، لا تجزعي ياحبيبتي ...
أغمي عليّ أيقظني أولادي وأنا محمومة، وأَشْعُر أن
عظامي قد تكسرت، وكأن سرير الجيران وقع
فوقي بالفعل، ووجدت بعض البقع الحمراء على
ذراعي وصدري، فحسبتها من سخونة جسدي،
نهضت بصعوبة بالغة من الفراش واتصلت بوالدتي
فأحضرت لي خافضًا للحرارة ، وظلت ترعاني أنا
و أولادي ونامت بجانبي إلى أن شُفيت.

جاء زوجي عندما عرف بمرضي ... وأخفيت عليه
ما حدث معي ، ولم أرغب في زيادة خوفه علينا
واعتبرته مرضًا نفسيًا وأوهامًا من وحدتي وقررت
ألا أكون وحيدة بعد الآن

سافر زوجي في العاشرة صباحًا، ووالدتي تأخرتْ،
وأنا أجلس على الأريكة أمام التلفاز أخشى دخول
حجرتي، وفجأة ظهر لي وأنا بكامل وعيي ويقظتي،
فزاد رُعبي ...كدت أن أُجَن وهو لاييأس محاولاً
السيطرة على مشاعـري قائلاً :- أنا حبيـبك الأول
منذ طفولتك، كم ساعدتك ودفعت عنك الأذى
وظل يذكرني بأحداث كثيرة كنت أتعجب منها
وبأشيـاء تمنيتها ووجـدتها واستطرد قائلاً:ـ كبرت
أمام عيني ، وأنا أرعاكِ وأعيش حزنك وألمك
وفرحك ...وحاولت إسعادك قدر استطاعتي ، دون

أن تدري، والآن أريد أن أسعدك أكثر وأكثر...
فزوجك لا يقدرك ، اطلبي منه الطلاق ، وكوني لي
وحدي ، لقد نجح في استعطافي لكن لا زال الرُعب
يتملكني قلت: " لكنك مخلوق من نار وأنا ..... "
فقاطعني مزمجرًا مما زاد رُعبي ... صارخًا في وجهي
"أنتِ لي وحدي" وانصـرف، مرت أسابيع بعدها ولم
يظهر، وحمدت الله على ذلك، عاد زوجي من عمله
بعد مضـي شهر، وكنا نستعد للاحتفال بالعودة، إلا
أنـه قد غلبنا النعاس فنمت أنا بجانب الصغار ونام
زوجي في الحجرة الأخرى.
وفي منتصف الليل فوجئت بزوجي يصرخ ويستعيذ
بالله، وهو يتصبب عرقاً، ونام بجواري أنا والأولاد
ليحتمي فيَّ ـ فهو يخاف من خيـاله ـ لم يغمض لي
جفنٌ وصَليتُ الفجر وظللت أقرأ في المصحف حتى

الصباح وكانت المفاجأة أنه تَجَسد لزوجي، وطلب منه أن يطلقني الآن تأكدتُ أن ما رأيته ليس تهيؤات ولا أوهام، صارحت زوجي بما حدث لي، فامتقع لونه أما أنا فقد تحول الخوف بداخلي إلى غيظ وغلٍ من هذا المخلوق البشع الذى يريد أن يهدم بيتي ويغتصبني ، فقلت لزوجي مُقوية من أزره: إذًا إنها الحربُ ...ولابد أن نكسبها نحن الحقيقة وهو مجرد وهم، نحن اثنان وهو واحد، فقال زوجي بصوت متهدج: " أنا خايف ... أقصد خايف عليكم " فقلت له :- ماتخفش أنا قوية وأحبك ولازم أدافع عن بيتي.

اتصل زوجي بأحد الشيوخ وأخذ منه موعدًا لطرد هذا الجني المستعمر

وفي المساء ذهبنا لزيارة أختي الكبرى"هناء" وهي
تضع لنا الشاي ضحكت ضحكة عالية وهي تقول:
أنا حلمت بأن عفريتا زارني في الحلم وطلب مني أن
أزوجك له ، وعندما رفضتُ لأنك متزوجة ،عرضَ
عليَّ مبلغًا كبيرًا، إيه رأيكم يا جماعة؟
وضحكنا كثيرًا ونحن نخفي خوفنا وهمسَ لي زوجي:
"هو وَرَانا ...وَرَانا"
وفي اليوم التالي حضـر الشيخ ليصرف العفريت كان
الشيخ يشوبه الوقار بلحيته البيضاء وبزته السوداء،
حقيبته الجلدية ثم طلب الانفراد بي خوفًا من إيذاء
زوجي من العفريت ، أشعل البخور، وتمتم
بالعبارات الغريبة ، ثم طلب مني أن أتحرر من
بعض ملابسـي، فارتديت إسدالًا خفيفًا يسترنى

وظل يدهن يديّ وقدميّ ورأسي بالزيت وهو يقرأ المعوذتين

اقترب مني أكثر ووضع يده على رأسي وهو يُتمتم بِعِباراتٍ مُبهمة ، ورويدًا رويدًا تسللت يداه إلى جسدي فسكتُ على مضض إنه يعالجني ثم تنبهت وصَرخت ، وهو يتحسس صدري ويعريني قائلًا:

" لا تخافي الجن بيحاول يلبسك وأنا سأحرقه"

وقبيل أن تتسلل يداه إلى أماكن أخرى ، ركلته بقوة واستغثت بزوجي، وقدمي على رأس" الشيخ العفريت " ونال ما يستحق من ضرب حتى نزف بشدة، خرج غير مأسوف عليه وبعد هذه الأحداث، أخذ زوجي إجازة، تفرغ لعلاجي محاولًا هزيمة الجن بقوة حبه لي ... كما استشار بعض علماء الدين الثقات، وغَسلنا الشقة بماء و ملح، ولأول

مرة فى حياتنا نحفظ القرآن ونختم المصحف ... كما اقتربنا من بعض أكثر وهزمنا الجني بقوة إيماننا بالله وبقوة حبنا ... اختفى بلا رجعة.

****

الصعلوكُ

زَعبلة المسكين شاب في منتصف العقد الثاني من عمره نال قسطًا بسيطًا من التعليم... كان قصير القامة، له رأس مُربع وأنف طويل مدبب ... وعيناه صغيرتان وغائرتان وله جبهة بارزة في تحدٍّ ... أطلقوا عليه هذا الاسم لشدة دمامته وللمفارقة كان اسمه الحقيقي (يوسف) !

تأخذه النشوة عندما يرى الهانم (ناهد الخولي) الأنيقة صاحبة الرائحة الذكية والقوام الملفوف والوجه الصبوح بابتسامتها الرائقة الحنونة وهي من سكان العمارة التي يحرسها والده

عندما يطلب أبوه منه أن يترك حجرتهم الوحيدة وينام على الأريكة أمام حوش العمارة في ساعة

متأخرة من الليل.. يفكر في الهانم (ناهد) بعين الرجل، الحب المستحيل فتتراقص أمام عينيه أحلام اليقظة اللذيذة وهو على يقين أن شوقه لها لن يتجاوز حد الخيال والأحلام

في الصباح تجلس أمه وهي تدندن بأغاني ريفية طازجة وتجدل ضفائرها الطويلة

وهو يفكر في الهانم الجميلة العزباء التي تسكن الدور الأخير من العمارة ..ويقول في نفسه :" ست نـاهد غير كل السكان تعاملني باحترام ، ولها نظرة ترعش مفاصلي وتمس صميم قلبي "

لا تغيب عن ذاكرته، صورتها بملابسها الفاتنة التي تظهر جمالها ، وهي تستقبله أمام باب شقتها لتأخذ الطلبات التي أحضرها لها

تعطيه مكرمة كبيرة وما تبقى لديها من أطعمة لذيذة المذاق، وأحيانًا تُلقي له بعلبة سجائر فاخرة ... إنها وحيدة لكنها تشع بالسعادة والدفء والحيوية كانت (ناهد) تستمتع بنظرات (زعبلة) النَهِمة التي تشعرها بأنوثتها الطاغية ... كانت تشفق عليه فساعدته في العمل لدى معرض للسيارات وبدأ (زعبلة) يهندم ملابسه ويحسن من منظره ولكن في غير تناسق وانسجام في ... وكانت(ناهد) تبتسم له – أو تضحك عليه - وتشجعه وتزيد من طموحه وتَطلعِهِ وهو يظن أنها معُجبة به وتبادله نفس شعوره وكاد يطير من الفرح عندما طلبت منه أن يحضر عيد ميلادها ... ولم يتوقف سيل خياله الجامح وظن أن الدنيا تفتح له ذراعيها !!!

ارتدى (زعبلة) حُلة كانت قد أهدتها إليه (نـاهد) كان غارقًا فيها مثل فطوطة بجسده القصير، كانت ناهد ترفع من معنوياته وتقوى أزره و تشعره بأنه برنس الليالي ...وزاد من صَب عطر المسك على ملابسه وكأنه جثة داخل تابوت

استقبلته (ناهد) وهي تكتم أنفاسها وقد غرقت في ضحك هستيري وسحبته في سرعة إلى الحمام وطلبت منه إزالة هذا العطر الفج بنبرة حنون قائلة : عايزاك الليلة تفضل معايا

ارتجفت أوصاله وكأنها مستها الكهرباء ولاحقته مكملة :هتساعدني في خدمة ضيوفي

خطفته هذه الكلمات إلى منطقة حزينة وقال في تعلثم :عايزاني أخدم على ضيوفك ! ردت بدهاء:-

"هتبقى ذراعي اليمين ... وبعد الحفلة هتلاقي
مفاجأة "
دبت الحيوية مرة أخرى في روح (زعبُلة) وهي
تخلع عنه الجاكت قائلة :- خليك كده اسبور هو
يتمنى أن يرتمي في أحضانها، ويكاد أن يأكلها
بعينيه الضيقتين
كان يدور بين المدعوين في خفة ونشاط كأنه نحلة
شغالة وعيناه تراقب (ناهد) وهي تتحرك في أنوثة
طاغية وتوزع الضحكات والقبلات على الجميع وكل
حين وحين تغمز له بعين مستحسنة نشاطه
وحيويته.
كان (زعبلة) ينتظر لحظة انتهاء الحفل ويتخلص
من تلك الموسيقي الصاخبة والضحكات الماجنة
ويُمني نفسه بالمفاجأة المنتظرة وكثيرًا ما شرد بخياله

وهو يراها مُمَددة بملابسها الشفافة على الأريكة، وهو يمازحها وهي تستجيب لدعاباته ونكاته ذات اللهجة الريفية.

ألقت (ناهد) بنفسها على الأريكة وكأنها ملكة على عرشها وعند أقدامها آخر المدعوين يمسح على شعرها .. أشارت ل(زعبلة) بسبابة اليمين فاقترب وهو على دهشته فأخرجت رزمة نقود جديدة ودستها في يده ثم أشارت بأطراف أصابعها بالانصراف قائلة بصوت مرهق :

شكرًا يا(زعبلة) واقفل الباب وراك

لم يسعد زَعبُلة بالمبلغ الكبير الذي لم يكن يحلم به، إنما كان يمني نفسه بقِبُلة منها ... فهرول مُسرعًا إلى أمه رمى المبلغ على الكنبة فهللت أمه فرحًا،

بينما دهشت لحزن ابنها الشديد وهو يرتمي في حضنها، و يبكي كطفل صغير.

****

الغائبُ

ميّ سَيّدةٌ عزباء، في العقد الثالث من عُمرِها، غرق زوجها أحمد في حادث العبارة الأليم، تاركًا لها طفلين ومعاشًا يوفر لهم معيشة كريمة كرّست حياتها لتربية أطفالها وقد نزحت من الأرياف إلى القاهرة لتحظى للأولاد على مستوى تعليم متميز في المدارس الخاصة وقد عرض عليها عدة أشخاص الزواج، لكنها رفضت لخوفها على ولديها...ظلت مرتدية السواد وحبست مشاعرها مع ذكرى زوجها وحبيبها، فكانت كلما تضيق بها الدنيا تتحدث مع صورته فتراه يبتسم لها ويقول لها اصبري، وكلما استبد بها الشوق، أخذت صورته في حضنها ونامت؛ تحلم به.

مرّ عامان على وفاتهِ وتمنت أن تعرف مكان قبره لتزوره ، لكن البحر حرمها منه، لم تقدر على نسيانه، تحتاج إليه أشد الاحتياج تشتاق إليه أشد الشوق، لكنها لم تبحث عن رجلٍ آخر لتكمل معه حياتها، يأخذ بيدها يشاركها فراشها يروي أرضها التي جفت فيحل ربيعها قبل خريف أيامها لكن كيف يغزوها رجل آخر... كان يرويها بوفائه وحبه الرائع فقد كانت تعيش معه قصة حب يتحدث عنها الجميع ويُضـرب بها الأمثال، ولكن دوام الحال من المحال... وتلك السعادة لم تدم، وشاء القدر أن يحرمها منها .

زحف الشيب المبكر إليها طاردتها الهموم فشبابها قرب أن يأفُل و في أعماقها طفلة صغيرة تريد أن

تنطلق، شاركت أولادها اللعب والسباحة؛ لتُرضي طفولتها المكبوتة .

فهي تبدو قوية حازمة مع أولادها، تتسم بالجدية والجمال الباهر إنما مشاعرها مهلهلة، وسادتها خالية من نفس حبيب يُدفئها، من حُضن يحتويها.

تقدم لها جارها في نفس ظروفها، كان شخصية مرموقة ومحترمة لكنها احتارت هل تقبله...أم ترفضه قلقًا على ولديها احتارت بين أمرين بين أن تعيش حياتها كالآخرين كل هذا ممكن، إنما المستحيل أن تحب أحدًا غير زوجها، ارتمت على سريرها تحتضن صورة حبيبها وتقول :- سامحني يا أحمد، عمري ما هنساك وكأن الصورة تحدثها "هُنتُ عَليكِ ، وظلت تردد لا لن أحب غيرك وأجهشت بالبكاء ثم أغمضت عينيها حتى تراه في حلمها،

يطفئ ظمأها ويهدئ من روعها كما تعودت أن تحلم به كل ليلة.

في المساء بعدما غالبها النوم، دقّ جرس الباب فتحت وهي في غيبوبة النعاس، فوجدت أحمد زوجها !!!!! لكن شكله كان غريبًا فظنت أنه غاضب لتفكيرها في الزواج.

قالت له: إنت جيت يا حبيبي ..ليه سايب ذقنك طويلة كده إنت زعلان مني ؟

فأمسكها من ذراعيها قائلًا:

ـ أفيقي يا حبيبتي أنا رجعت، أنا أحمد زوجك

عاد أحمد بعد غياب سنوات كان فاقدًا للذاكرة، لم تصدق ظلت تضحك وتصـرخ كالمجنونة ... مش معقول أنا صاحية ولا بحلم ... الحمد لله

****

الفراغُ العميقُ

أَفَقْتُ تَدريجيًا من مُخدر العمليات ، ثم غفوتُ على دوامة... من الفراغ العميق مَرْت أمامي.. سنوات الضياع وأنا أزور طبيب العقم والولادة دون ذرة أمل تخرجني من هذا الخواء الذي يملأ روحي ...
لم أملك سوى الابتهال لله وأنا أحدق في الحجرة الخاوية بعيون ثقيلة أسمع بكاء طفل مولود كأنه في العراء، أم أنا التي أحلُم كالعادة !
يذهب زوجي للعمل لساعات طويلة، يلفني الفراغ المُمِيت وضحكات الأطفال تحاصرني ووجوههم الغضة تُداعبني يشدني الحنين كي يمتلئ هذا الفراغ ببذور النماء، أعود مثل طفلة تُـداعب... عرائسها وتطلق عليهم أسماء...

أولاد وبنات، أُفيق قليلاً وأسمع ضجيجًا... ولا أرى أحدًا، أدخل في دوامة تدق رأسي دقًا مؤلمًا، ولا أشم غير رائحة المُخدر أشعر بوجود زوجي الذي تفانى في إسعادي، وهو يعلم أن حُلمي أن يكون بجواري في غُرفة الولادة لأمسك بيده وأتشبُث به ...ليكون أول من يحمل طفلنا، وأرى في عينيه نفس الرجاء والتوسل والدعاء لله أرفض أن أفيق وأظل مستسلمة في خدر جميل وأخشى أن يفاجئني الواقع المُر بإجهاض جديد، تطرق رأسي دقات " الهون النحاسي" تطحنني في احتفالات الأهل والجيران (بسبوع المولود)

تتحول ضحكات الأطفال إلى سكاكين تطعنني في الفؤاد...والزغاريد كأنها عواء الذئاب لم أشعر كم أمضيت في غيبوبتي داخل غرف العناية المركزة

أفتح عينيّ على أجسام لأشباح لم أتبين منها غير وجه رجلٍ أعرفه أحاول أن أستجمع قوتي بكل ما أملك من إرادة، وثمة آلام مبرحة تعتصر بطني الآن ذهبت الغشاوة عن عيني، واستعدت وعيـي ورأيت زوجي عيناه تشع بالبشـر والحب والصفاء، وهو يحمل طفلنا وبيده الأخرى يتحسس جبهتي قائلًا : حمدًا لله على سلامتك

احتضنت طفلي كأنني أضم الكون كله في قلبي ولسان حالي يردد "الحمد لله"

****

اللقاءُ الأخيرُ

أمل... فتاة جميلة ... ثملةٌ بِرحيق الحُرية ونَشوة الشباب، تَرمُق بعيون الحب قوس قزح يزين السماء وعصافير سحرية تحلم بأمسياتٍ عَبقة ، في عُـشٍ صغيرٍ ، يُطلُّ على البحيرة الممتدة بين الربا الخضراء بحبيب يعشق روحها ، تنعم معه بالسعادة تكون جاريته وملكته.

أمل لم يسبق لها أي تجربة في الحب ... حصلت على الثانوية العامة، ولم يكن لها أي طموح في التعليم الجامعي إيمانًا منها بالزواج المبكر للفتاة

تقدم لها أحد أقاربها يدعى محمود تتمناه بنات العائلة كلهن، ولكنه اختارها فهي أكثرهن رقة وعقلًا وجمالًا، بالرغم من فقرها ومؤهلها المتوسط

لكن ثقافتها عالية تسبق سنها، محمود شاب وسيم،
ذو مركز مرموق عشق إحساسها العُذرى وأنها
بريئة و خام " عجينة يمكن تشكيلها" كانت
تناديه" أبيه محمود"
لأنه يكبرها بست سنوات ، وهو ينظر إليها كطفلة
كبرت وترعرعت أمامه وهو أول رجل يقتحم
أنوثتها ويثير إحساسها باقتناص لمسة أو همسة
تغرقها في عالم إثارة المشاعر الساحر الذي تدخله
لأول مرة في حياتها.
أمل كأي فتاة صغيرة قليلة الحيلة فرحت بالشبكة
والفستان والصور و تباهت بنفسها وسط الأهل
والأصدقاء، لكنها كانت تشعر بِغصة في قلبها
حين ينفرد بها وكل همه أن يحصل منها على قُبلة،
وقلبها يرفضها بالرغم من نداء جسدها بالتجاوب؛

كي تُلبي رغبته وتعجبت من جمود مشاعره، لكنها قررت التمرد على واقعها المُحبط الرخيص فهي تشعر أنها فتاة مختلفة، وتستحق أكثر من ذاك الرجل المتوحش، الذي حاول ضمها لدرجة أنها شعرت بالاختناق، وتكسر عظامها وصُدمت فيه، وقعت بينهما خلافات كثيرة، سافر وهما متخاصمان، في المساء كان كل شيء باردًا إلا من صور غريبة لم تخطر على بالها صورة المدرس المتطوع، دون أجر الذي طالما رعاها ، صديق ابن عمتها(دكتور سيد) كان طالبًا في السنة النهائية لكلية الطب، جاشت ذاكرتها بسيل من الأحداث وانتفضت من جلستها تمسك بصفحات المُذكرة التي بها أشعاره، تسترجع نظراته الحالمة التي كانت تتجاهلها ... تعتبرها مجرد إطراء تقول لنفسها :

أكان مستر سيد يحبني؟ يالي من غبية !
لقد كتب لها الشعر وشاركها الفرح والترح، وكان ينتظرها بعد الامتحانات ليطمئن عليها، لم تقدر اهتمامه بها وحنانه، كأنها كانت تخاف الوقوع في حبه، لفيف من الصور تتقاذف مُسرعة و تتسارع معها دقات قلبها، إنها لم تتعرف على مشاعرها فهي الفتاة البريئة الصغيرة لم تعرف معنى الحب وتسأل نفسها: هل الحب عطاء؟ أم احتواء أم تضحية ؟ أم رغبة أم كل هذا معًا ؟
أفاقت من هواجسها الشاردة التي سيطرت عليها ونفضت الغبار عن صورة الخطيب الأناني وصورة الحبيب الذي يعاني، وهي لم تشعر به، لذا لم يتجرأ ويصارحها بحبه.
وفي يوم من أيام الصيف الأولى ذهبت أمل إلى

البحر الذي تعشقه لتغسل صدرها بنسماته،
وتصفو مع نفسها ربما تجد ضالتها وتأخذ قرارًا .
وهي تلعب بالكرة مع أختها على الرمال تداعب
قدماها المياه لتلمع تحت الزَبّد مثل قطعتي رخام،
ويداعب الهواء شعرها الأسود الطويل ذهبت الكرة
بعيدًا، وإذا بشاب أسمر، مفتول الذراعين يبتسم لها
من بعيد وشعرها يطير على عينيها يحجب الرؤية
عنها، تحققت منه إنه هو "دكتور سيد"، حبيبها
الأول الذى كان مولعًا بشقاوة الأطفال في حركاتها
وبأفقها الواسع، وذكائها المُتقد ... فقال لها مُداعبًا:
- إنتِ مش هتكبري أبدًا وتذكرت شِعره "عروس
البحر" نظر إليها حزينًا مُعاتبًا، لأول مّرة في حياتها
قلبها يّرتجفُ عِشقًا وحزناً فقد قرأت قصائد الشوق
في عينيه ـ لقد نضـج إحساسها وعرفت الفرق

بينهما ـ في حين أن خطيبها ينظر إليها نظرة الذئب
للفريسة، تسمرت قدماها أمامه ويدها تعانق يده
وعيناها تغرق في عينيه وروحها تعانق روحه
ولأول مرة في حياتها تتمنى أن تحتمي في أحضانـه،
نعم تمنت أن يعانقها وتعترف له بحبها وأنها أساءت
الاختيار شعرت بوجهها يشع حمرة وخجلاً، عندما
طالت وقفتهما ونظراتهما ولامتهما نظرات المارة
المُستنكرة وقال لها:- فاكرة أول لقاء كان لنا على
البحر تذكرت كلماته" أرى في عينيكِ أمواج البحر
وصفاء السماء"
وقع نظره على الدبلة والإسورة في يدها تلمع في
الشمس، لمعتها تحرق قلبه تذكره بالرجل الذي
خطف حبيبته ذاك الطوق الذهبي هو حبل المشنقة
الذي خنق حبه لها فقال بأعين دامعة وهو يعض

على شفتيه، مشيحاً بوجهه عنها :- مبـروك ربنـا يوفقـك أما هي فقد تملكها الحرج وقد تمنت أن تقذف بالطوق في البحر وتذهب مع" سيد " هو الذي أحبها ورعاها واحترمها ولم يلمسها
تمنت أن تقول له خذني معك نهرب من هذا الواقع الذليل بعد مرور أيام على لقائهما كانت أمل في حالة مقارنة وصراع بين خطيبها وحبيبها، بين لغة المشاعر والحب الصامت ولغة الغزل غير العفيف الذي يمتهن جسدها، بل يلتهمه بنظرات تبغضها لم تفارق صور ة "سيد" مخيلتها وقررت ألا تخدع نفسها وأن تترك خطيبها وفعلت ...تاركة له كل شيء، وخطب بعدها مباشرةً إحدى قريباته
عاشت أمل في تلك الفترة على فتات مشاعر لقيطة ولدت بعد فوات الأوان لا تعرف مصيرها وكيف

تخبر"سيد" وهل سيقبل أن يتقدم لها بعدما تركته ؟،
ولكن عذرها الوحيد أنه لم يطلبها صراحةً للزواج
وسنحت لها الفرصة أخيرًا، وطارت من الفرحة،
لمقابلة سيد في مناسبة جليلة وهي زواج ابن عمتها
وصديق عمره وهو مَن عَرفه بها
ذهبت إلى الحفل في أبهى زينتها لتزف إلى حبيبها
خبر حريتها وتنتظر أن يفاتحها في الزواج وقالت
لنفسها: - والله لو ما اتكلمش سوف أفاتحه أنا،
قابلت أخته التي سألتها عن خطيبها وكأنها تعلم
كل شيء فأخبرتها أنها تركته فما كان منها إلا أن
أطلقت زغرودة ، هزت القاعة وظلت تقبلها
قائلة : ـ مبـروك عليـكِ" سيـد" ده كان هيتجنـن
عشانك ورفض يحضـر الفرح عشان ما يشوفوش

معاكِ ...وجرت تتصل بأخيها وتزف إليه خبر
رغبتها في العودة إليه
لم يصدق ما أخبرته به أخته، كاد يطير فرحًا
لحضوره زفاف صديقه وعودة حبيبته له ، صعد
الدرج لشقته وحلق لحيته الطويلة وارتدى بزته
وظل يغني ويرقص مُرددًا:- أغنية محرم فؤاد " الليلة
ليلتك يا قمر أمك دعيالك..."
نَزل إلى الشارع مُسـرعًا ونسمات الهواء تغسل
صدره وأحزانه الخوالي يقول لكل من يقابله بارك لي
أنا هاخطب ، كان يصافح الجميع ويقبلهم الحلاق
والبقال حتى "أم محمد" بائعة الخضار، ظلت تدعو له
بالتوفيق وذهب لبائع الورد على أول الشارع ليختار
لحبيبته الورد الذي تعشقه

الطرق مزدحمة بالسيارات ولم يجـد عربة فلجأ إلى صديقه، استعار منه سيارته وطار مسرعـًا تداعبه صورة حبيبته وأحلامه الوردية التي أصبحت بلون دمه على الطريق؛ فقد داهمته سيارة تسير عكس الاتجاه وفوجئ الجميع بالخبر المفجع في الحفل، وتحولت الزغاريد إلى صرخات وهرول الجميع إلى المستشفى ، لاقته أمل وهو في النزع الأخير وكانت آخر كلماته :سامحيني يا حبيبتي كان نفســي أعيش وأسعدك وهذا كان حبها الأول الذي لن تنساه ولقاؤهما الأخير

****

مسكينٌ

يَحشــرُ رأسه في صندوق القمامة، يتصارع مع القطط ... يَمُر بجوارِهِ الحارس فيتجمد خوفًا جَللَ الصمت كل شيء، عندما ضربه الشاويش على رأسه بالعصا مستنكرًا: ـ مش كفاية تسول بالنهار... وإزعاج بالليل، سقط مغشيًا عليه التَفت حوله الكلاب تَلعق وجهه ليفيق، فهي أحن عليه من البشــر، مسكين افترسه الليل وظل يحلم بالرغيف .

****

ذكرى

سحابة صيف تتراقص في سمائي ... تنقذني من
ويلات حياتي ... تنتشلني على جناح الذكرى
لحبي الأول ... تنتشــي روحي و تداعب أفكاري،
وماضٍ بعيد ... تتسرب نسماته في سراديب أعماقي،
وتهدهدني في أروقتها الرحبة ... تسألني بحروف
مبهمة عن ذكرياتنا، ضحكاتنا، دفء أحضاننا،
جنة أحلامنا

على غير العادة أرى المساء الصيفي، ينتشــي في تراب
صمتي، يسحب وسادة هدوئي، حتى يئس الصبر مني،
أتوسل إليه أن يبقى هذه الليلة، يرفض ويمضي
تاركني وحدي.

وحدتي موحشة ، لا يسمعني...أسحب غطاء الأمل على جسدي
أتشمم عطره في خلايا روحي ... أعيش على ذكراه
وليس لي حبيب سواه ... هجرني من أجل امرأة أخرى...
لازلت أنتظره ، فهل سيعود؟

****

المفتاحُ

أعطته"هناء" كل مفاتيح سعادتها لعله يفتح أبوابها، حاولت أن تجعله يشعر بحلاوة الحب حتى تنال منه علاقة حميمية ، تتكافأ فيها الفرص تتزين ، تضع العطر الذي يحبه ...وتتفنن في تغيير شكلها من جميل إلى أجمل ، تضــيء الشموع ، توزع باقات الزهور في أركان عش الغرام .

تنتظر على أحر من الجمر عودته في الإجازة، وتهيئ له الظروف لتعوضه عن أيام غربته ، لتطفئ لهيب الشوق بزبد الحب المتدفق.

كان "قاسم " زوجها يعيش لنفسه فقط ... ولا يجد في " هناء"غير جارية ، تحمل عنه أعباء الغربة، والأسرة وحدها وتربية أطفالهم، الذين حرموا من

مُتعة حنان الأب، ولم يقضِ معهم أيام الإجازة أو العطلة الصيفية لمنحهم بعض المرح والحنان، المحرومين منه دائمًا.

وكلما دار بينهما حديث عن حقوقها وحقوق أطفالهم قال قولته الشهير ة :– أنا متغرب وباطفح الدم عشان مين ؟

وكلما تحاول أن تروي قلبها المحروم من حبه، فلا تسمع منه كلمات تعوضها عن جفاف العلاقة بينهما ، إلا أنه يكتفي بقوله " أنا شايفك حلوة على طول" فلا يضيف إليها هذا الهروب إلا غُصة في قلبها

لقد بذلت مجهودًا وصرفت ما تدخره لتكون امرأة جديدة في كل مرة ولكنه لم يشعر بها بالمرة ، وينقض عليها كالفريسة ، لايبالي آلامها وكثيرًا ما

تقول له : "نفسي أشعر بأنوثتي معاك وتكون عيونك مرايتي، إنتَ إيه يا أخي " ولكن دون مبالاة، وفي عيد الفطر حاول إرضاءهم والخروج للتنزه معهم، فكان واجمِ الوجه وهو كظيم ... مُحتد المِزاج ... صامتٌ كالحَجِرِ، يُمسك " بالموبايل " يلعب مع نفسه، ويتواصل مع أصحابه وصاحباته وكأنه طفلها الثالث المريض بالتوحد فى حين أنه كان في منتهى المرح "والشقاوة" أيام الخطوبة

سافر إلى عمله ... وفي المساء، كاد زميله أن يفقد حياته حين انزلق من سلم حديدي وسقط في المياه وهو لا يعرف العوم فأنقذه "قاسم" وسأله عن سر وجومه و سرحانه فأردف قائلًا :ـ ياريتنى مُت وارتحت

واسترسل يحكي عن خيانة زوجته ، وإنها قتلته بالفعل ، حين اعترفت بخيانتها وطلبت الطلاق .. وظل يحكي له كم تجاهلها ، وكم حاولت أن تعيش حياة سعيدة معه لكنه لم ير إلا نفسه فقط فضعفت و بحثت عن حياة أخرى .

وجد "قاسم" صورة طبق الأصل فيما روى عن معاملته لزوجته، كأنه يعيد على سمعه حوارهما، فتسربت إلى عقله الوساوس وسيطرت عليه الهواجس المُرعبة .. فانتفض واقفًا وقرر النزول إجازة قبل ميعاده، والشياطين تتراقص أمام عينه والشك يصور له أشكالًا مختلفة قد يجد فيها زوجته مُتلبسة بالخيانة، ويتخيل نفسه يخنقها بكلتا يديه . شعر بدوار وتصفد عرقًا غزيرًا وهو يتسلل

سُلم العمارة، ويتذكر خياناته العديدة لزوجته منذ القريب، ولم يشعر بتأنيب الضمير .

أدخل المفتاح في الباب ولم يدخل ... ضغط على أسنانه وهو يقول في نفسه " قفلت من الداخل لتأمين خيانتها ... السافلة، أعاد إدخال المفتاح في الباب لكن دون جدوى ، فخرج له رجل عملاق قائلًا:- تعالَ يا حرامي يا ابن الحرام

تعرف "قاسم"على صوت الرجل إنه جاره، الذى أخرج سكينًا كان يخفيه في ملابسه وهو يمسك بعنق قاسم ، وقتها فتح الجيران أبوابهم، وسمعت "هناء" صوت زوجها فَلبِست الخمار مقلوبًا وهرولت لتنقذ زوجها، وتصـرخ في الجميع" إنه زوجي قاسم أبو سارة "

انتهى المولد الساخر بين الضحكات ومَصْمَصِة النِساء، وأخذته من يده كالطفل الضال إلى شقتهم وعيناه تتفحص الشقة كأنه يراها لأول مرة احتضنته ... واحتوته من الفزِع الذي لاقاه وهب تضحك قائلة :- مرحب بالحرامي

ابتسم في هدوء وأسف وقال لها أنا أخطأت ليس في الشقة ولا المفتاح فقط؛ بل في حقك وقبل جبهتها طالبًا السماح .

فيا ترى هل يتغير قاسم ؟

****

الوردةُ

في زحْمةِ الأيام المُظلمة ... والشوارِع التي تضيق أكثر، كانت يداي تبحث عنكَ ... وأنتَ تنأى بروحك وجسدك بعيدًا عني ، وتتآكل أيامك من جذورها لتصبح هيكلًا آيلًا للسقوط ، تغوص في النوم لا فرق بين ليل ونهار لتصنع لحدًا من فراشك في كتابي القديم وجدت وردتك الحمراء اليتيمة مُحنطة ، أمسكتُها بِرفقٍ خوفًا من أن تتهشم بين أناملي ، كأنها كل أيامي الماضية ... تلك الوردة التي رويتها أنتَ مِن مياهك المالحةِ

ودائمًا ما أسال كيف تحجرت القلوب وهي في ريعانها وتَشقَقت تُربة حُبنا ؟ أذكر حين مشينا معًا

في شوارع الذكريات ، وأنا أشعل لك سيجارتك الأخيرة

وقد أشعلت مشاعري بحديثك العذب ولمساتك الحانية حتى كدت أطير كالفراشة ونحن نُغني أُغنية " أم كلثوم" هل رأى الحب سُكارى ...

الآن بعد أن فشلت كل الحبوب والعطور والنذور أن تُعيدك إليّ ... الآن أعيد وردتك الذابلة مثل عُمري، لتسكن مُسجاة بين ضفاف كلماتي

****

اليتيمُ

يُراقبُ الأطفال، وهم يلعبون في براءةٍ ومرحٍ ، وهو يلتهم رغيفًا مَغْموسًا بالفول وأقراص الطعمية مُتلذذًا بطعامِه ...مُتمنيًا أن يلهو معهم ، ويشارك بخياله في اللعب ،يفزعه من شُرودِه المُمتع ، نداء "معلمه" ، فينهض مُسـرعـًا وهو يَلوك آخر لقمة ، ليُلبي طلب (الأسطى) وينبطح على بَطِنه أسفل السيارة وقد ازدادت ملابسه المصبوغة بالشحم بأوساخ مثل أيامه التعيسة .

في آخر اليوم يعطيه رب العمل مبلغًا زهيدًا... ينظر إلى النقود في حسرة فيصرخ في وجهه صاحب الورشة قائلًا : مش عاجبك ... يا روح أمك إِحمد ربنا ... بّشغَلك وبعلمك صنعة.

يعتصر قلبه ألمـــًا ورعبًا من صاحب الورشة
القاسي الملامح بعينيه الجاحظتين ووجهه الذي
يشعُ غضبـًا ، ثم يمضي الولد مُسرعاً يَستجمع قواه ،
يجري ليُسابق شمس الغروب حتى يُطعم أُمه
المريضة وأخاه الصغير ... يحاكي السماء البرتقالية أن
تُبلغ سلامه لأبيه الذي يرقد خلفها، يحلم أن
يكون لاعب كرة، والجماهير تهتف باسمه، لكن
تُلح عَليه صرخات أخرى، أخوه الصغير الذي
يعتصر الجوع بطنه، و تلاحقه صرخته على أبيه وهو
يغرق في بحر المهجر ، صراخ صاحب الورشة في
وجهه مهينًا له
لم يسمع صوت القطار التهمه الموت .

****

أمومةٌ

متى ينتهي هذا الصراع مع الغلاء وأرباب العمل؟
مُرتب الموظف المحروم، غير المحروم لا يكفي
عشــرة أيام اضطرت الزوجة للنزول لسوق العمل
تُصارع الزمن لتصل بالطعام لأفواه الصغار صَعدتْ
درجات السلم المائة تتقطع أنفاسها لتصل لحجرتها
على السطوح وضعت الزيت في الآنية يغلي، وهي
تُبدل ملابسها تسلَّل صغيرها نحو الموقد، فاهتز قبيل
أن يسقط عليه القِدر بزيته المغلي، هرولت،
أمسكته بيديها العاريتين وهو يغلي؛ احترقت
يداها، والتصقتا بالقِدر دوّت صَرختُها من الأرض
إلى السماء وهي تحتضن صغيرها غير عابثة بحروقها،
وحمدت الله على نجاة صغيرها

أنا وليلى

ليلى كظلي ... صديقتي الوحيدة نرتدي نفس الملابس حتى الِزي المدرسي الجيب الكحلي والبنطال الأزرق، والجوارب البيضاء، والحذاء الأسود.
نحن في صف واحد وفي مقعد واحد، من الصعب أن تفرق بيننا وكأننا توأم، الشعر المجدول بالشـرائط الحمراء والزرقاء ، نمرح في سعادة وبراءة ... عيوننا حالمة وثملة برحيق الحياة ... زقزقة عصافير ينطلق حديثنا في مرح وسعادة لا نفترق إلا عند النوم .
في الفترة الأخيرة من الدراسة كنت حزينة وصامتة، كانت ليلى مريضة لاتستطيع اللعب معي، وكثيرًا ما مسحت دموعها وجلست بجانبها أواسيها وكانت تتغيب كثيرًا وكلما ذهبت إلى نزهة بدونها أشعر

بالحزن العميق على رفيقة طفولتي، وكلما ذهبت إلى منزلها أجده مظلمًا، أفتح النوافذ لأطرد رائحة الرطوبة، وأتحدث إليها وكأني أتحدث إلى نفسي وتبقى الحلوى التي جلبتها لها كما هي ... حتى العرائس التي نلعب بها ظلت ساكنة، قصصت شعر العروسة وصنعت لها شاربًا ... لكنها لم تبتسم كسابق عهدنا، لقد سرق المرض ضحكتها والتهم الألم طفولتها

زاد انطوائي ووحدتي، وذهبت مع والدتي لزيارات متعددة لطبيب الأمراض النفسية خاصة بعد أن اشتد عليها المرض وبدأت أعراضه تظهر عليّ أنا وكأني عُديتُ منها ... نُحول الجسد، وشحوب الوجه لست أدري لماذا أشعر بنفس ما تشعر به ليلى في صمتها وشرودها، وحتى آلامها، فأمشي بِبطء

وأتكلم بصعوبة مثلها إلا أن فقدت شهيتي
ومرضت جدًا . حاولت أمي جاهدة خروجي من
هذه الحالة ، وأقامت لي حفل عيد ميلاد ، حاولت
اللعب مع الأطفال، لكن ظلت ليلى حائلًا بيني
وبين المرح و الخروج من هذه الحالة فلن نتقابل،
منذ فترة طويلة ، ولا يحلو لي اللعب والنزهة إلا
معها.
وفي آخر لقاء لنا ... جلستُ بجوار ليلى وأمسكت
بيدها الباردة كالثلج احتضنتها ، وهي لا تقوى على
ضمي، سالت دموعها على كتفي قائلة " لا تنسيني يا
صديقتي"
وأنا أجهش بالبكاء "لا تتركيني يا أختي " ثم ارتخت
يداها عني وراحت في سبات عميق، ودعتني، كأنها
كانت تنتظرني لتودعني، نمت بجوارها أدعو الله

أن تصحو ... خَفَت الأضواء، وذهب الضجيج
و العويل ولم تذهب صورة ليلى من ذهني تداعب
خيالي بذكرياتنا معًا ، وأحيانًا تبدو كالملاك تأخذني
معها نحلق فوق السحاب وبين المروج والقصور
والزهور والطيور الملونة رأيت الموت جميلًا مُمتعًا
معها .
كانت والدة ليلى تحتضنني بقوة كادت تَكسر عظامي
وهي تقول : " لا تذهبي يا ليلى ابقي معي"
كانت أمي تبكي بشدة تمسك بيدي المرتعشة قائلة :
"ليلى ماتت من ثلاث سنوات ، عودي إليَ يا ابنتي"
انتبهت لما أصابنى ،حاولت أن أستجمع رشدي ،
ارتميت في حضن أمي قائلة: ليلى ماتت يا ماما
قالت أمي: "حمدًا لله على سلامتك"

****

عرسُ السماءِ

جَريتُ إلى أبي أقابله حتى يحملني وأتعلق برقبته ويقبلنب، كانت القذيفة أسرع مِني، انتشر الدخان في المكان بعد دَوِي مُرعب مَمْزُوج بالأشلاء ... وعلى جدران الحوائط بقايا بشر ممزوجة بالتراب

خرجتُ من مخبأي لألتقي بـوالدي، بعد قذف الطـائرات ، فجلست بجواره في صمتٍ جليل ، في فضاء رحيب أخضـر ... هدوء مطبق، يشعرك بالسكينة ونشوة القلب، سألته :- إنتَ مُت يا أبي؟ ... ابتسمَ لي قائلًا " الشهداء لا يموتون يا ابنتي "

تركته وذهبت أبحث عن أمي

فوجدتها تبكي بِحُرقةٍ بالغة كالمجنونة، حول أشلاء الجُثث ... وآخرون يحفرون لتُقبر الأشلاء الدامية

إلى أن رأيت وجه أبي فسَقَطَت أمي على الأرض تحتضنه، وارتميت أنا على صدرها، الذي ينتحب في مرارة وهي تُتَمْتِمِ بصوتٍ مشروخ وواهن " ابنتي وزوجي فى يومٍ واحد يارب صبرني " ، كَشفت الغطاء المُدمى عن وجه طفلة، وجدتها أنا ، فقلت : ـ
"كيف وأنا هنا يا أمي وأراكِ؟ ... لكنك لم تلمسيني ... ولم تنظري نحوي ...هل حقًا لاترينني ؟ هل فقدت أمي بصرها؟
وانتابني شعورٌ مُخيف ... هل أصبحتُ شبحًا!.. وكأني سراب ! "
الآن أُتابع أُمي في تَحركاتِها ... تطوف بحجرتي وتَتَشممُ ملابســي ثم تدخل حُجرة أبي، و تجهش بالبكاء، ويداي السرابية لا تقوى على مسح دموعها .

نظرت في المرآة فلم أر صورتي، فسألت نفسي غير مُدركة لما يحدث حقًا أنا ميتة ؟ تناهى إلى سمعي صوت أبي يناديني، وجدت نفسي أجلس على قدمه في لمح البصر ... وهو مُتَكِئ على وسَائد خُضر ناعمة وأنوار حانية حولنا، ورائحة عطرٍ مُسكرة، ضمني إلى صدره في اطمئنان وسعادة قائلًا: " لا مكان للخوف هنا يا ابنتي فلتنعمي معي وأنا في حيرة بين موت الحياة، وحياة الموت.

كنا نطير مثل الفراشات وسط احتفال ملائكة صغار يلوحون لنا ببيارق نورانية وزهور وسماء أُرجوانية وأنغام ، وأصوات ملائكية ، كأننا في عُرس سماوي ... حقاً يا أبي .. . إنه النعيم ... ليت أمي جاءت معنا .

****

رحلةٌ إلى القريةِ

وصلتنا دعوة لحضور حفل زواج ابنة خالي بإحدى قرى " الصعيد " .. وكم تمنيت زيارة الريف .
نزلنا من القطار، أنا والأسرة .. استقللنا سيارة وهي تئن، حتى تقطع الطريق غير المُمَهد والملتوي بين المطبات والمئبات ، بعدها انطلقت السيارة كالريح ... رحُتُ أنظر من النافذة ، تركت أفكاري ترعى بِحُرية في الأرض الزراعية المُمْـتدةُ ، وتمرح فيها، من أقصاها إلى أقصاها، مُتخيلة نفسـي أطلق ساقيّ للريح ، بل أطير فوقها ، بضحكي وفرحي الذي يملأ الكون ، في حين نور الشمس الرائع ساطع في يوم نعيمي – على حافة نهر النيل

ينطلق بصري لتجمع حلل الزروع وتستنشق
أريجه وتجد الابتسامة والتهليل من أهل البلدة
بحضورك كأنهم أهلك والكرم العربي الذي نقرأ عنه
حقيقيًا بجفاوة بالغة
وهناك رجل يجمع الثمار وآخر يرمي سنارته في
الترعة وصوت العصافير وهي تبلبل فوق الأغصان
في شهر الربيع
فبالرغم من التحضــر الذي طغى على الطبيعة إلا أنه
لازالت هناك أراضٍ وزروع وأشجار باسقة
في المحطة وجدنا "عوضين"ابن خالي ينتظرنا
بسيارته المُتهالكة، كان يُلقي السلام على جانبي
الطريق و يبطئ عند المقاهي المُنتشــرة على
الجانبين ..ليتباهى بنا أمام أهل القرية، ونحن
غارقون في الضحك المكتوم أنا وأختي "منى "..

ويرد الناس السلام بشهامة ..واقفين مُرحبين مُحدقين، تكاد رؤوسهم تخترق الزجاج المُغلق من التُراب، كانت الطُرق مُلتوية والحقول المُمتدة، تتوسطها البيوت ذات الثلاثة أدوار، وأكثر ما أبهرنا طوابير البط الملون كأنه كرنفال الذي يسير بجانب الترعة " يكاكي" ثم ينزل إلى المياه، ويغطس ويطير فوق سطحها كأنه يحاول الارتفاع لكنه يسقط لاهيًا سعيدًا.. عابرًا الضفة الأخرى كأنه يعبر خط بارليف

وصلنا إلى بيت العروس التي لا تتعدى الثاني عشر عاما من عمرها وكان يوم " الحنة"، لم نجد وطأة قدم من كثرة النساء الجالسات على الحصيرة حول العروس وكنت أعلم أنها متفوقة في الدراسة وتتمنى أن تكمل تعليمها الجامعي

جلس أبي مع الرجال في الخارج، نهضت النساء ..
يرحبن بنا .. ، أطلقن الزغاريد، فتحت لنا زوجة
خالي "عبد الكريم" حُجرةالضيوف وطاقم الصالون
المُذهب الفخم الذي يبتلع الحُجرة شعرنا
بالاختناق ففتحت الشباك.. فسمعت صوت أحد
الشباب يتكلم مع أصحابه وينتحب من البكاء
فهمت أنه ابن عمها ويحبها وأبوها رفضه لخلاف
بينه وبين والده، وأنه سوف ينتحر، فتأثرت بهذا
الحديث وأغلقت أمي الشباك قائلة بحدة آمرة :ـ أننا
لم نسمع شيئًا.
أحضـروا لنا الفطير والعسل والجبن القريش، لم
نأكل إلا القليل " .. خرجنا لنشارك العروس
احتفالها بالحنة، وأصرت النساء أن نربط لأختي

الكبرى المنديل على خصـرها حتى يروا رقص بنات البندر، وأنا اكتفيت بالتصفيق .

تلذذت بنقوش الحناء على يدي، وأعطت أمي النقود"النقوط" لأم العـروس وتعجبتُ من هؤلاء الفلاحين الذين يـزوجون بناتهم ، وهن لا يزلن طفلات، فقد كنا نلعب معًا منذ قليل في براءة وصخب، نظرت إليها بعدما أجروا عليها التعديلات رسموا الحواجب ، وصبغ شعرها بالحناء كان وجهها متورمًا محمرًا كقطعة جمرٍ، من كثرة الجذب والشد وتغير شكلها من طفلةِ بريئة إلى امرأة صغيرة، تجولنا في البيت الكبير، كان يَعُج بالطباخين، والذبائح، وصواني الحلويات الكبيرة، فتحوا لنا حُجرة السُفرة ، وشمر خالي عن ساعديه، ووضع ابنه طرف الجلابية في فمه، وحمل صواني الطعام إلى

الخارج للرجال، في حين التفت النسوة على الطعام في الردهة ، كأنهن فى حلبة مُصارعة، تلوك كل واحدة بيدها وكأنه آخر زادها

خَيم الظلام فوق البيوت المُنخفضة الداكنة التي ترقُد كالقبور

لا شيء هنا يدل على الأحياء المُكدسين تحت السقوف، إلا مصابيح مُتناثرة في الدائرة المُظلمة وكأنها عيون جنيات رابضات يقدح منها الشــرر فلا توجد إضاءة في الشوارع الضيقة

كانت الأصوات المتناغمة لصــرير صرصار الزرع، ونقيق الضفادع وطنين الناموس المرعب الذي أكل جلدنا، سيمفونية ليلية مؤلمة

دعتنا العروس للجلوس على الترعة، فقامت أختي وأنا معها، وجدتهن يعبرن الترعة من فوق ماسورة

مياة تمر من فوق الترعة .. شجعنني على العبور، فمشيت خطوتين ثم خفت ورجعت، فوجدت الأولاد يعبرونها جريًا، فأخذتني الشجاعة ومشيت إلا أن وصلت في نصف الترعة واختل توازني وهويت كالدبة البليدة في المياة الراكدة شعرت أني أشرب مياهًا عطنة، وغطتني المياه من كل جانب ونطقت الشهادة وأيقنت أنها النهاية، حاولت أن أنزع قدميّ من الطين وأجدف بيديّ فصدمت بجسد ألصق وجهي في القاع، وأنا فى الرمًق الأخير و شربت من المياه الآسنة ملءَ معدتي ..

حتى حملني هذا الشاب على كتفه وخرج بي من الماء، ولم أشعر بنفسي إلا وأنا في عيادة البلدة وحولي الكثيرون وضحك الطبيب مداعبًا " بنت البحر .. تغرق في الترعة .. حمدًا لله على سلامتك"

تلذذنا بالثمار الطازجة ، وكانت "أشجان " العروس..
سعيدة جدًا بوجودنا
إلا أنها كانت تُخفي دموعها وحزنها كأنه سوف ينفذ
فيها حكم الإعدام
علقت الزينة ونصبوا خشبة المسـرح للفرقة
والكوشة أذهلنا وجه العروس الجميلة الذي شوهته
الألوان الفاقعة ـ كأنهم في مهرجان الألوان للهنـود
ـ أما العريس.. فقد ارتدى بزة قيمة غير منسجمة
مع جسمه نُصِبت النصبة وتناقلت الشيشة،
وزجاجات البيرة، بين الأيادي في صخب وانسجام
ودارت النقطة والبقشيش، والراقصة السمينة،
تتلوي بجسدها المترهل، تُسيل لعاب الرجال، وغيرة
النساء، وسخريتهن

بعد الحفل .. جاءت الزفة بالطبول والمشاعل، ورقًت المشاعر.. والعروس .. تودع حضن أمها ، ولعبها، وهزلها.. لتذهب لبيت زوجها .. ركبنا مركبًا شراعية كبيرة مًزينة بالكهارب ، والطبلة والمزمار، وفجأة اختلف أخو العروس مع ابن عمه أخي العريس، ودبت "عاركة" بالأيادى وتكسرت الكهارب على رؤوسنا ، تمايلت .. المركب ..كدنا أن نسقط في الماء، تحولت الزغاريد إلى صيحات وصراخ، وكلما مالوا إلى اليمين أسرعنا نحن في اليسار وكادت تميل كل الميل ـ

أظلمت المركب ورست على البر وتجمع أهل البلد بكشافات السيارات ونحن ننادي على بعضنا لنطمئن أن الجميع بخير ولنتجمع واكتشفنا أن العروس ليست موجودة وسمعت همس بعض

الفتيات أنها هربت ، أبوها عيناه تلمع بالشر يتوعد بقتلها ، ونظرت لأمها وجدتها تتصنع البكاء وتمتم بالدعاء لها ولا يزالون يبحثون عن العروس

****

الثمنُ

نَشأ فَقيرًا مُعدمًا، وتَرعرع على سِجادة الصلاة، وحصل من العلم على أعلى الدرجات و اندمج في الحياةِ، وعالم الأعمال ...كَسِبَ الكثير ... الكثير ، وتمرد على النعمةِ .

ومَاذا نَال حين كسب المال وخسر نفسه !

... لكل شيء ثمن .

****

تجردٌ

ظلّ يَسخرُ مِنها ويسخرها لخدمته وهي تتفانى في إسعاده ...
تُزيد من قدره وهو يُبْخس قدرها حتى تلاشت
وذابت ، في نار قسوته
ولم يبق حتى ظلها حتى حزن عليها حين ماتت.

****

الحِذاءُ القَدِيمُ

تجردت من كرامتها ... وفضت ثوب حيائها

وأودعت كرامتها على أعتابِ بَابه

شبع منها ... ورماها كالحِذاءِ القديم.

****

ابْنُ السماءِ

تتلاقى أرواحنا ، في لقاء حميمي، وترقص بين الأزرقين، السماء والبحر ويشاركنا القمر، وتغني النوارس على خرير الموج، ويراقصني حبيبي وأختبئ بين الغيمات ... ونتقاذف النجمات، في عرس السماء فحبيبى من الشهداء

****

محتويات الكتاب

تم بحمد اللّه



السيرة الذاتية

الاسم /وفاء السيد المنصوري

زوجة /العميد أحمد جوهر

أم لثلاثة شباب

مواليد/ مصر . بورسعيد

العمل/ موظفة في وزارة التربية والتعليم

مدير مرحلة بتوجيه عام المكتبات

التحصيل العلمي :

حاصلة على بكالوريوس تجارة

حاصلة على بكالوريوس تربية

الهوايات و الأعمال الأدبية :

أهوى القراءة والتأمل في الطبيعة

أكتب الشعر الغنائي

والقصة القصيرة

المؤلفات :

صدر لي كتاب عرائس ونوارس

نشرت لي بعض الأعمال في الصحف

****


ديوان العرب
للنشر و التوزيع